السّينما الجزائرية..

تأميم الشريط السينمائي من أجل الوصول الى الجماهير..

ابراز التحولات الاجتماعيّة والاقتصاديّة

هي هدف المخرجين الشباب في الجزائر

هذا هو القسم الثاني والاخير من الدراسة التي وزعها المركز الثقافي الجزائري — بيروت — عن واقع السينما الجزائرية ..

وقد تناول القسم الاول نشأة السينما الجزائرية خلال الثورة والجهود التي بذلتها قيادة الثورة من اجل خلق الكوادر السينمائية وتجميع الارشيف السينمائي وتعميم الشريط الثوري بين الجماهير المقاتلة ، كذلك الصعوبات التي واجهت السينما الجزائرية في عهد الاستقلال والخطوات التي عمدت من خلالها حكومة الثورة الى جعل الشريط السينمائي اداتها للوصول الى الجماهير ..

وفي هذا القسم تتناول الدراسة مرحلة التأميم، والاتجاه الجديد في السينما الجزائرية الذي يتناول الى جانب الثورة ابراز التحولات التي تحققها حكومة الثورة على كافة الاصعدة

* المرحلة الانتقالية : ١٩٦٢ — ١٩٦٤

شهدت هذه المرحلة تعدد الشركات الخاصة المكلفة بانتاج وتوزيع واستثمار الفلم في الجزائر .

المركز السمعي البصري في ابن عكنون

— « قصبة فلم » لصاحبها ياسف سعدي (شركة خاصة للانتاج والتوزيع)

— الاحداث الجزائرية

— مصلحة الحزب السينمائية للتنسيق بين الهيئات الثلاث السابقة .

وكانت لكل شركة سياسة معينة ، واحيانا متضاربة . وانحصر النقاش في هذه الاثناء في نقطتين : هل تؤمم السينما ، وبذلك تصبح قطاعا من قطاعات الدولة ، ام هل يكفي في المرحلة الراهنة انشاء شركة مشتركة جزائرية اجنبية ، تتولى رسم السياسة السينمائية للبلاد ، والبرمجة لقاعات العرض .

وكان القرار السياسي الذي اتخذته الحكومة لصالح التيار الاول ، حيث صدر قرار في عام ١٩٦٤ ويقضي بانشاء المركز الوطني للسينما الجزائرية ، مع تحديد صلاحياته ، وهي : التقنين ، الرقابة ، الانتاج ، التوزيع ، الاستغلال ، الى جانب اضطلاعه بدور المركز التجريبي للنشر الشعبي . وقد جمع هذا المركز المصالح السابقة ، واصبح يراقب حوالي ٨٠ بالمئة من انتاج وتسويق الافلام في الجزائر . والبقية ظلت خاضعة لمكاتب التوزيع الخاصة . كما تولى هذا المركز تنظيم العروض المتنقلة في الارياف بحيث جابت قوافله في عام ١٩٦٥ فقط ٢٢٥ بلدة .

وجدير بالذكر ان « الاحداث المصورة » التي تعرض على الشاشة قبل الفلم ، ظلت كلها اجنبية حتى مارس ١٩٦٣ ، حيث تأسس الديوان الوطني للاحداث المصورة ، وعرض لاول مرة جريدة مصورة جزائرية في نفس الشهر من تأسيسه .

ثم اتسعت مهام هذا الديوان ، بحيث اصبح ، الى جانب متابعة الاحداث الوطنية ، ينتج افلاما قصيرة عن زيارات بعض رؤساء الدول ، والواقع العربي ، كانتاج فلم عن القدس واخر عن اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٦٤ .

اذن يمكن القول بأن انتاج الاحداث الوطنية : كان الانتاج الجزائري الوحيد حتى جويلية ١٩٦٣ ، وكانت افلامه تنقل الى باريس للتظهير والتحميض ، نظرا لعدم وجود مختبرات بالجزائر .

تنهي اذن المرحلة الاولى بتأسيس مركز وطني لتجميع مختلف شركات السينما مع صلاحيات لا تشمل كافة ميادين الانتاج والتوزيع والاستثمار . غير ان هذه الفترة تنتهي ايضا بقرار احدثه الحكومة ، ويقضي بتأميم جميع صالات العرض وعددها ٣٢٠ ، وتبدأ المرحلة الثانية باتجاه تعميم مبدأ المركزية .

* مرحلة التأميم الكلية : ١٩٦٤ — ١٩٦٨

ستشهد هذه المرحلة قرارين هامين :

اولهما : انشاء الديوان الوطني للتسويق والصناعة السينماتوغرافية الذي تأسس سنة ١٩٦٧ ، وانحصرت اختصاصاته في باديء الامر في الانتاج والتوزيع ، ثم توسعت تدريجيا ليحصل على احتكار الاستيراد والتوزيع والتسويق .

كما شهدت هذه الفترة اسناد تسيير قاعات السينما الى البلديات التي تستفيد من المدخول لتمويل مشاريعها الاقتصادية .

واصبح القطاع السينمائي منذ عام ١٩٦٩ مؤمما مئة بالمئة بعد ان حلت قانونيا كل الشركات السابقة التي تكاثرت غداة الاستقلال ، بما فيها ديوان الاحداث المصورة ... على ان هذه التطورات الملاحقة داخل الحقل السينمائي لم تكن تجري بمعزل

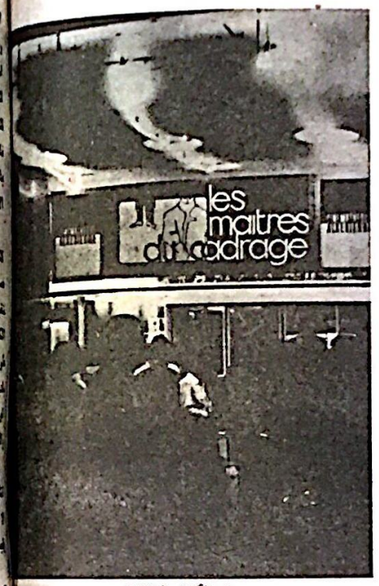

دار الأفلام الوثائقية

عن الجهود المبذولة بخلق الاطار السينمائي الجزائري : ممثل ، مخرج ...

وربما من المفيد ان نتوقف هنا قليلا عند تجربة تكوين الفنيين السينمائيين الجزائريين . ففي عام ١٩٦٤ ، انشيء المعهد الوطني للسينما ، واستقبل في بداية الامر ٦٠ شابا من اصل ٣٠٠٠ مترشح ، وكان التعليم في هذا المعهد يدوم ثلاثة اشهر قبل ان يرسل الناجحون الى الخارج في فترات تدوم عاما ونصف . ومع الاسف ، لم يعمر هذا المعهد طويلا لاسباب مادية ، فاختفى بعد عامين من وجوده ، وقد تخرج من هذا المعهد شبان سيجعلون لواء التجديد في السينما بعد سنوات قليلة .

كما شهدت هذه الفترة تجربة جديدة تتمثل في فتح مكتبات افلام تجمع الافلام القديمة ذات القيمة التاريخية ، فتم فتح مكتبات بالجزائر ، عنابة ، ووهران . نجحت هذه الفكرة في استقطاب الجمهور، وهي الان موضوع توسيع .

وشهدت هذه الفترة ايضا تجربة جديدة هي تجربة

العروض السينمائية المتنقلة او قوافل السينما المتجهة اساسا نحو الريف : ولادراك اهمية هذا الاسلوب من التقرب من الجماهير ، نشير الى ان قوافل السينما زارت في سنة واحدة ٢٢٥ بلدة وبلغ عدد الذين شاهدوا افلامها ٢ ٤٠٠ ٠٠٠ متفرج .

في ١٩٦٩ حتى اليوم — الاتجاه الجديد

اصبحت السينما الذي منذ عام ١٩٦٩ مؤممة وتنظيما وتوزيعا واستثمارا ، تحتل الطليعة في الصراع الايديولوجي الداخلي والخارجي ، وبدأت السينما تعبر عن مواضيعها بعد ان لاحظت انها انصبت منذ الاستقلال على اعادة تركيب مختلف جوانب الحرب، وانتبهت الى انها قد تتجاوزها الاحداث اذا ما استمرت في هذا السباق ، دون معايشة الواقع الجديد، لذلك انتظر السينمائيون الفرصة السانحة للتخلص من احاسيسهم ، فجاءت الثورة الزراعية حدا فاصلا في تاريخ السينما ، بحيث اتجه التفكير لدى المخرجين الشباب الى انتاج افلام تعرض مشاكل الاستقلال ومتطلبات البناء .

ومنها يعتبر فلم « الفحام » لبو عماري الطليعة ، الذي انتقل من جو الحرب الى جو الواقع الجديد.

وبمناسبة تطبيق الثورة الزراعية ١٩٧٢ ، شهدت السينما تغيرا كبيرا وتطورا هائلا كما ونوعا . فمن ناحية الانتاج ، انتجت الجزائر سنة ١٩٧٢ علاة افلام روائية ، ومن الناحية النوعية ، كان الانقطاع كليا عن موضوع حرب التحرير ، باتجاه معالجة الواقع الجديد عبر الثورات الثلاث : الثقافية ، والسياحية ، والزراعية ..

وتأثيرا على هذه الخطى ، بدأت الجزائر في انتاج افلام التسلية كفلم « عطلة المفتش الطاهر » ان هذه التسلية مسيسة ، فهي تسلية مربية ، انها تسلية مضيعة للوقت .

أ — السينما الجزائرية اليوم : واقعا وخصائص

١ — خصائص السينما الجزائرية :

لم تكن للسينما الجزائرية تقاليد سينماتوغرافية تعتمد عليها لتطور نفسها ، لذلك وجب استحداث كل شيء واعادة النظر في كل شيء ، بدءا بحصر الطاقات المادية والبشرية ، لذلك تحمل السينما الجزائرية عدة سمات نابعة من الواقع الذي تتناول فيه وهي :

١ — الالتزام بخط الثورة :

انها ليست سينما تجارية ، بل وسيلة لتثقيف الجماهير ، لاشراكها في معركة البناء ، كما انها تشرح خط الثورة في الخارج بتأييد القضايا العادلة في العالم (سنعود) عن القضية الفلسطينية ، (نعم المطبين) عن افريقيا .

ب — قطاع عام مؤمم كليا :

الديوان القومي للتسويق والصناعة السينماتوغرافية ، هو الجهاز الوحيد الذي يحتكر الاستيراد والتوزيع والتسويق ، وهو يعيش من مدخوله الخاص ، ولا يتلقى مساعدات من الدولة ، بل ان هذا الديوان يتقاسم مداخيل صالات العرض مع البلديات بحيث يذهب الفائض العائد له لانتاج افلام جديدة اخرى .

ج — مكتبة الافلام :

تعتبر مكتبة افلام الجزائر من احسن مكتبات الارشيف المصور المعروفة في العالم .

٢ — واقع السينما اليوم :

هناك حقيقة مشتركة للعالم الثالث كله ، وهي ان الجمهور يفضل مشاهدة الافلام الغربية والامريكية بدل افلامه الوطنية ، والسبب في ذلك مستوى الفلم الجمالي والفني ، وقوة وسائل الغزو الفكري والثقافي التي يملكها الغرب ، والتي لم يسلم منها الشعب الجزائري نفسه . فقد دلت الاحصائيات لعام ١٩٥٩ على ان الافلام التي كانت تلاقي اقبالا كبيرا من طرف الجمهور في الجزائر كانت حسب الترتيب :

الافلام الامريكية ، الفرنسية ، الانكليزية ، الايطالية ، ثم بقية الافلام ومنها المصرية والهندية .

وقد كان هذا الواقع عبئا ثقيلا على السينما الوطنية ، نظرا لاستمرار الجمهور ، بعد الاستقلال في تفضيل الافلام الغربية على افلامه الوطنية . وليس سرا القول بأن بعض الافلام التي انتجتها حتى عام ١٩٧٢ كانت خاسرة تجاريا اذا ما استثنينا فلمي — معركة الجزائر وحسن طرو — اللذين لاقيا اقبالا كبيرا .

ولحسن الحظ ان الفشل التجاري في الداخل يعوض عليه في الخارج باقبال الجمهور على التعرف على السينما الجزائرية ،باعتبارها ناشئة من العدم وفي طور التجربة .

وكان لزاما اعادة تربية ذوق الجمهور حتى يزداد اهتماما بانتاجه الوطني ، وقد نجحت هذه السياسة بعد جهد جهيد . وكدليل على ذلك ، فان الفلم الهزلي « عطلة المفتش طاهر » كان له نجاح رائع في الجزائر بحيث تعدى عدد الذين شاهدوه في اسبوع واحد مائة الف شخص . والجمهور الجزائري ، جمهور يتذوق الفن السابع ويميل اليه كثيرا رغم منافسة التلفزيون ، بحيث بلغ عدد الذين ارتادوا صالات العرض عام ١٩٦٥ ، ٩ ملايين شخص ، ويمكن التأكيد بأن هذا العدد تضاعف في السنوات اللاحقة نظرا لتزايد عدد السكان في البلاد .

يبلغ عدد صالات العرض في الجزائر حوالي ٣٥٠ صالة ، وهي تحتل المرتبة الثانية من هذه الناحية في العالم العربي بعد مصر .

نستنتج من العرض السابق ، ان السينما في الجزائر اصبحت بعد تأميمها وتأميم جميع صالات العرض ، تلعب دورا رئيسيا في توضيح اهداف الثورة للجماهير . فالفن السابع ، كان ولا يزال من التثقيف ، لا يتحكم فيه عامل الربح والخسارة ، لذلك تلتزم السينما بخط الثورة في الداخل والخارج، دون اهمال العنصر الجمالي الذي ينبغي ان يتوفر في كل فلم حتى يكون اكثر نجاحا ، واوسع تأثيرا .

غير ان تجربة الجزائر السينمائية لئن كانت ناجحة قياسا بكمية وجودة الافلام التي انتجتها لحد الان ، (وعددها ٦٩ فلما طويلا ، و ١٦٠ فلم قصير ومتوسط) ، الا انها ما زالت تواجه بعض المشاكل على صعيد التسويق الدولي ، اذ ان المأساة التي تشهدها السوق العالمية ، تحول دون تسويق افلامنا في الخارج . والمشكل هنا له طابع سياسي ، لانه لا ينفصل عن مجمل الصراعات التي يخوضها العالم الثالث لاثبات وجوده كقوة لها قدراتها وطاقاتها ، وتأثيراتها على مجرى التاريخ . لقد نادت بلادنا في الملتقى الاخير للسينمائيين الافارقة ، الذي انعقد منذ شهرين بمدينة الجزائر ، نادت بضرورة تأميم السينما كسلاح ايديولوجي خطير بعد امتلاكه شرطا من شروط استكمال السيادة الوطنية ، كما اقترحت انشاء اتحاد قاري يضم سينمات البلدان الافريقية ، لتنسيق سياسة تبادل الافلام داخل القارة السمراء ، قبل توسيع هذه التجربة الى بقية اجزاء العالم الثالث.

ومن المؤسف حقا ، ان لا تلاقي الافلام الجزائرية، التي يتفق جميع النقاد على ارتفاع مستواها الجمالي ، وعمق مضمونها السياسي ، رواجا في البلاد العربية . فكيف يمكن في هذه الحالة ، توحيد الامة العربية التي جزأتها قرون الهيمنة الاجنبية الى دويلات وكيانات مستقلة . كيف يمكن جمع شمل العرب اذا كنا نتنفر من كل فن يعرفنا على بعضنا البعض ، ويزيد من تقاربنا ويدعم ايماننا بانتمائنا الى كتلة موحدة تمتد من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي .

« انتهى »

نصوير فيلم
« المقنون عن
العيون المائة »